جامعة تلمسان

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة علم الاجتماع

السنة الثانية –ليسانس-

مقياس علم الاجتماع في الجزائر-السداسي الثاني-

المحور الأول: ظروف نشأة وتطور علم الاجتماع في الجزائر

**المرحلة الممتدة من 1984الى ما قبل تطبيق نظام ل م د في 1999م**

-بعدما كان علم الاجتماع علما تقدميا طلائعيا يعمل على التجنيد و التعبئة في ظل الطرح الإيديولوجي ،تدريجيا دخلت الجزائر مرحلة الاقتصاد الليبرالي بإعادة هيكلة المؤسسات و الاستقلالية ومن ثم الخوصصة . أصبح بعد هذا علما منبوذا لا قيمة له في هذا الصدد يقول **العياشي عنصر** :أنه خلال هذه الفترة، اتسم الموقف الرسمي بثلاث خصائص هي: انتقاص القيمة الاجتماعية للعلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع خاصة ،وثانيا تجاهل الدور الحقيقي الذي يمكن لعلم الاجتماع أن يلعبه في التأثير على التحولات الجارية في المجتمع وثالثا في الوقت نفسه، محاولة الاستفادة من الفرص التي تقدمها العلوم الاجتماعية في بسط الهيمنة والحفاظ على السيطرة التي تتمتع بها النخبة الحاكمة سواء في المؤسسات الاقتصادية والسياسية والثقافية، فأصبحت كل الأنظار متجهة للعلوم الطبيعية والعلوم التكنولوجية باسم التنمية والتغير فازداد احتقار المسؤولين لهذا العلم وللمشتغلين به.

هذه المرحلة تميزت بالعديد من الأحداث منها أحداث أكتوبر 1988 حينما خرجت الجماهير مطالبة بالتغيير والديمقراطية، ثم توقيف المسار الانتخابي الذي انجر عنه دخول الجزائر في موجة الإرهاب الشيء الذي أدى بفرار العديد من المشتغلين بهذا العلم إلى الخارج-علي الكنز- وهناك من قتل –الجيلالي اليابس- بوخبزة امحمد ..الخ، وكل هذا زاد في ضياع هذا العلم عندنا.

رغم المحاولات لإصلاح نظام التعليم العالي، فان ما يميز هذه الفترة كذلك هو التعداد الكبير للطلبة الذين يدخلون إلى هذا التخصص بأضعف المعدلات في نجاح البكالوريا، بالإضافة إلى فتح العديد من الأقسام عبر التراب الوطني نذكر منها على سبيل الاختصار لا الحصر قسم علم الاجتماع في جامعة عنابة حيث أصبح معهدا مستقلا خلال السنة الجامعية 1985/1986م، معهد العلوم الاجتماعية الذي تم إنشائه في الفترة مابين 1994/1995م وفي جامعة تلمسان تم إدراج علم الاجتماع كفرع تابع لمعهد الثقافة الشعبية سنة 1997م ثم أصبح قسما تابعا لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، أما علم الاجتماع في جامعة سطيف فقد أسس سنة 1997م وكان ينتمي إلى كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، وفي جامعة المسيلة تم فتح تخصص الخدمة الاجتماعية سنة 1996م وفي جامعة بسكرة أفتتح معهد علم الاجتماع للسنة الجامعية 1996/1997م..الخ، بالإضافة إلى معاهد أخرى عبر التراب الوطني. نلاحظ تلك الفوضى العارمة في فتح التخصص دون مراعاة الحاجة إليه بالإضافة إلى المتاجرة بالبحث العلمي دون مراقبة لدى البعض ، وتوزيع المنح دون مراقبة جادة والبرامج التي تعدل و تتضارب مقاييسها في كل مرة. وجري بعض المشتغلين به وراء لقمة العيش والمصالح الشخصية على حساب البحث العلمي شأنهم شأن بعض الموظفين في قطاعات الدولة، كما أصبح لبعض المشتغلين به دورا لا يتعدى قاعات التدريس، بل أكثر منها تدني المستوى لديهم نظرا للشعبوية والمساواتية التي أصبحت تتصف بها الجامعة في هذه الفترة.

لقد بدأ الموقف السلبي اتجاه علم الاجتماع واضحا من خلال الخريطة الجامعية التي وقع اعتمادها سنة 1984م حينما تم التخطيط لاختزال معاهد العلوم الاجتماعية وعلم الاجتماع خاصة بينما وقع مضاعفة عدد المعاهد المتخصصة في العلوم التطبيقية والمتخصصة وكانت المناسبة الثانية عند إصلاح برنامج علم الاجتماع لسنتي 1983 و1984م، بحيث برز بوضوح الموقف الرسمي المطالب بتحويل علم الاجتماع إلى فرع تقني يلبي متطلبات القطاعات المستخدمة. ولقد هيمنت الصراعات الإيديولوجية على الساحة السوسيولوجية إلى المدى الذي انعدم فيه التواصل العلمي بين الأساتذة في الوقت الذي شهد تراجعا في التيار الراديكالي اليساري بعد 1989م لصالح التيار الاسلاموي الذي لقي كل الدعم.

يشرح لنا الباحث **العياشي عنصر** وضعية علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية في شقه المتعلق بالبحث العلمي الذي عانى الإهمال والتهميش في هذه الفترة مختصرا ذلك فيمايلي :... في عدم توفر الشروط الموضوعية المادية والمعنوية من أجل القيام بالبحوث والنشر وتبادل نتائجها ووضعها لدى كل المهتمين والمتخصصين وفي القطاعات المستخدمة، تشجيع حركات التأليف والترجمة التي بدت في هذه الفترة مشلولة لانعدام الوسائل المادية للنشر والطبع والتوزيع ، بالإضافة إلى انعدام حرية الرأي والتعبير في المجتمع والرقابة المؤسساتية: لاكتفاء بالشهادة والأقدمية في تقييم الباحثين .

فتطبيق مبدأ ديمقراطية التعليم العالي على العلوم الاجتماعية والإنسانية أدى إلى انزلاقات عديدة نتيجة الارتفاع الغير منقطع لعدد الطلبة في كل سنة جامعية في قسم علم الاجتماع، والذي لم يكن فقط نتيجة الانفجار الديموغرافي لتلامذة المرحلة الثانوية والذي أدى بدوره إلى ارتفاع عدد حملة الباكالوريا، بل هو نتيجة " النظرة الدونية" لهذه العلوم وترتيبيا في أسفل درجات التخصصات الأخرى، في هذا الإطار تشير الباحثة **عمروني بهجة** إلى وضعية قسم علم الاجتماع بالجزائر العاصمة نقلا عن تصريح رئيس القسم قائلا : " لم يسمح لنا ولو مرة أن يحدد شروط استقبال الطلبة، مثل معدل النجاح في شهادة الباكالوريا و حتى الشعبة التي درس فيها الطالب في المرحلة الثانوية.كما لم يتم استشارتنا حول الطاقة الاستيعابية لقسم.

بهذه النظرة أصبح علم الاجتماع كغيره من العلوم الإنسانية والاجتماعية مجال استقبال الطلبة الغير مرغوبين فيهم في التخصصات الأخرى مثل: العلوم الدقيقة والعلوم التكنولوجية. والتي يسمح لها بوضع حد أدنى لمعدلات الباكالوريا حتى يتمكن الطالب من التسجيل فيها، لقد أدت مثل هذه الوضعية إلى تكثيف المدرجات بأعداد غير محدودة من الطلبة وفي ظروف جد مزرية بالرغم من عدم تهيئة استقبال العدد اللامحدود من الطلبة في كل سنة جامعية.

يحلل لنا الباحث **جمال الدين غريد** وضعية الطالب الجامعي في هذه الفترة وبالخصوص مع نهاية القرن 20م مبرزا ثنائيته الثقافية طالب كلاسيكي /طالب شائع كمايلي:

نشهد بروز وجه جديد من الطالب الجامعي الذي يختلف بل ويعارض الوجه الكلاسيكي لطالب السنوات الأولى لما بعد الاستقلال –الستينات والسبعينات- فعلى العكس من الطالب الكلاسيكي الذي أصبح مهمشا وفي طريق الزوال، فان الطالب الشائع أصبح بعدد كبير يأتي من المناطق الداخلية للوطن في الغالب معرب وذا ثقافة إسلامية وتظهر الفروقات بينهما في الممارسات البيداغوجية وفي العلاقة مع المعرفة وفي تصورات المستقبل المهني وفي العلاقة مع الدين والاختيارات الإيديولوجية والسياسية، فطالب اليوم يملك حظوظ قليلة للحصول على منصب عمل في المستقبل وهو يعرف ذلك جيدا.

يشرح لنا الباحث **محمد غلام الله** الوضعية بقوله : إن العديد من الكتاب المهتمين بالشأن الجامعي يصفون هذه المؤسسة خاصة في منتصف الثمانينات بأنها أصبحت غير منتظمة –مخربة- مثقلة بأمواج من الطلبة، لقد تلقت الجامعة خلال فترة الثمانينات تراكم الآثار السلبية من جهة الوزن الديمغرافي-الدمقرطة- والجزارة المتسرعة للأساتذة وتعميم التعريب في العلوم الإنسانية والاجتماعية بدون تحضير ولا فترة انتقالية.

شهدت نهاية الثمانينات إعادة هيكلة القطاع العمومي بالتوجه نحو اقتصاد السوق تحت ضغط المؤسسات الدولية من هنا دعي علم الاجتماع مرة أخرى للمساهمة في دراسات متعلقة بالقطاع الخاص والمقاولاتية، أنها بداية الإعلان عن فشل النموذج التنموي السابق فموضوعات الدراسة والبحث يتم تحديدها مرة أخرى من الفوق ، أي تعبئة الباحث الخبير من أجل المعرفة المتخصصة باقتصاد السوق لا غير.

من الضروري أيضًا التأكيد على الدور الذي تلعبه المؤسسات الدولية مثل: البنك الدولي، منظمة العمل الدولية، منظمة العمل الدولية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وغيرها، التي تقدم عقودًا بحثية بناءً على الأشياء والقضايا التي يحددونها أنفسهم. مفاهيم مثل: "الفقر" و"الحكم الراشد" "التنمية المستدامة"، "الاقتصاد غير الرسمي"، " وما إلى ذلك، استبدلت مؤخرًا المواضيع التي عفا عليها الزمن مثل :"التنمية" أو "الطبقات الاجتماعية" أو "المؤسسة العامة".

حقيقة أن علم الاجتماع يظل، بعد الصحافة في ذلك الوقت، هو التخصص الأكثر عرضة

للاغتيالات الإرهابية بعد عام 1992؛ تم اغتيال العديد من علماء الاجتماع

منهم :(م.بوخبزة، الجيلالي ليابس، سبتي، ستامبولي..الخ). منذ ذلك الحين، بعضهم،

، اختاروا "ترك الانضباط" أو على الأقل التخلي عن التخصص واعتبر آخرين أنهم قُتلوا قبل فوات الأوان أو حكم عليهم بالموت مثل: (، محفوظ بنون، سعيد الشيخي..الخ).

في مقال لها تكتب الباحثة **أمينة قادري** عن وضعية علم الاجتماع في إحدى المؤسسات الجامعية في الشرق الجزائري -عن منطق العشائرية والنزعة الجهوية التي تطورت في الجامعة الجزائرية على غرار مؤسسات أخرى ، فما كان يهم الأستاذ آنذاك ليس إنتاج المعرفة التي سيقدمها لطلبته بل استعمال علاقاته الشخصية بسبب مكانته التي انحطت من أجل الترقية في حياته المهنية والحصول على منح في الخارج والإقامة هناك، فأصبح يهتم بالراتب الذي يتقاضاه في نهاية الشهر والحصول على السكن أكثر من اهتمامه بالمعرفة تحول إلى موظف حكومي شأنه شأن بقية الموظفين الحكوميين الآخرين، أما بالنسبة للطلبة فالصورة تغيرت هي الأخرى بالنسبة للذكور كإطالة التمدرس للهرو ب من أداء الخدمة الوطنية في ظل الظروف الأمنية الصعبة، أما الإناث فكن يقضين وقتهن كي يتجنبن المكوث أو العودة إلى البيت.

أما بالنسبة لقضية التوجيه فان للمتوجهين إلى علم الاجتماع في الغالب هم من ذوي المعدلات المنحطة في البكالوريا بالإضافة إلى الراسبين من تخصصات أخرى.

**ملاحظة:** **يمكن التوسع أكثر بالرجوع إلى المراجع الآتية:**

1-جمال معتوق: علم الاجتماع في الجزائر-من النشأة إلى يومنا هذا، دون دار النشر، ط1، 2006م.

2-العياشي عنصر:نحو علم اجتماع نقدي-دراسات نظرية وتطبيقية-ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1999م.

3- Kamel Chachoua. La sociologie en Algérie : l’histoire d’une discipline sans histoire. Eberhard Kienle. Les sciences sociales en voyage. L’Afrique du Nord et le Moyen Orient vus d’Europe, d’Amérique et de l’intérieur„ Karthala, pp.135-155, 2021, 9782811103330. ffhal-03472960f.

4-Madoui Mohamed : les sciences sociales en Algérie-regards sur les usages de la sociologie- revue sociologies pratiques, n° 15, 2007/02.

5-Guerid Djamel : l’exception algérienne-la modernité a l’épreuve de la société- éditions casbah, Alger,2007.

6--Ghalamallah Mohamed : l’université Algérienne –de la reforme de 1971 a la reforme du LMD, in ouvrage collective- **Repenser l’université,** coordination et présentation Djamel Guerid, les éditions arak, Alger 2014.